

المستشرق الفرنسي جيوم داي



LE CORAN DES HISTORIENS

قرآن المؤرخين

تفسير سورتي القمر والطارق

ترجمة وتعليق

دكتور نافذ الشاعر



جميع حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب: تفسير سورتي القمر والطارق

اسم المؤلف: جيوم داي

اسم المترجم: د. نافذ الشاعر

الطبعة الأولى: نوفمبر ٢٠٢١

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسير سورتي

القمر والطارق

للمستشرق الفرنسي جيوم داي

ترجمة وتعليق

د. نافذ الشاعر

مقدمة

وصلني من صديق - غير عربي - ملفان بالفرنسية يحتويان على تفسير معاصر لسورتي القمر والطارق. هذان الملفان تم تصويرهما من كتاب ضخيم يبلغ قرابة ٤٠٠٠ صفحة، كتبه فريق من المستشرقين، بإشراف من الباحث البلجيكي جيوم داي، والباحث الإيراني محمد أمير معزي. وقد تم تسمية الكتاب Le coran des historiens "قرآن المؤرخين".

منهجية الكتاب تستند إلى اعتماد المصادر غير الإسلامية (السريانية والمسيحية، واليهودية..). لإعادة قراءة ماضي الإسلام وبداياته؛ لأن هذه المصادر تقدم، حسب رأيهم، أدوات جديدة لفهم بدايات الإسلام فهماً علمياً محايداً.

وقد قُسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء: تناول الجزء الأول تحليل السياق التاريخي والجغرافي للقرآن الكريم. وتناول الجزء الثاني تفسير القرآن سورة سورة، حسب المنهج النقدي الذي يطنطون به. أما الجزء الثالث، فيحتوي على قائمة المصادر والمراجع، وسائر ما كُتب عن القرآن باللغات الأوروبية منذ ما ينيف عن قرنين من الزمان

ويقترح المؤلفون إعادة وضع القرآن في سياقه التاريخي، من خلال كتابات المستشرقين النزيهين أمثالهم، منذ نهايات القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا؛ لأن المسلمين - بزعمهم - لا يمكنهم أن يبنوا موقفاً نقدياً من مقدساتهم، لوقوعهم تحت إسار الإعجاز القرآني، فلم يتخذوا منه أيّ موقف علمي كما يزعمون.

وقد قمت بترجمة السورتين والتعليق عليهما،
والسورتان تصلحان لأن تكونان عينة صادقة
لأسلوب هؤلاء المستشرقين في كتابهم هذا..

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

أولاً: سورة القمر

PAUL NEUENKIRCHEN

SOURATE 54 AL-QAMAR

(LA LUNE)

54 سورة القمر

الهيكل العام

STRUCTURE GÉNÉRALE

٥٥ آية (سطر واحد في المتوسط في القرآن المطبوع). تحمل السورة بشكل عام عنوان "القمر"، ولكن أيضًا "اقتربت الساعة"، أو أسماء أخرى طويلة إلى حد ما، مأخوذة من كلمات الآية الأولى؛ وتتناوب القافية بين: رَر - رُ على طول الخط.

تحتوي هذه السورة على هيكل بسيط: يتكون مركزها من "قصص العقاب" التي تصف عقاب الشعوب، التي لم تصدق رسائل المبعوثين الإلهيين في الماضي (الآيات ٩-٤٢)، وكلها تخدم هذا السياق.

(والآيات من ١-٨ مقدمة للاستنتاج الذي
سيأتي في الآيات (٤٣-٥٥) بآيات ذات محتوى
يخص نهاية العالم والحياة الأخرى. ثم تتكرر
الآيات كقطعة موسيقية بشكل ثابت (انظر
الآيات ١٦-٧ ؛ ٢١-٢٢ ؛ ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٧ ،
٣٩-٤٠).

المخطط:

١-٨ مقدمة لنهاية العالم.

٩-٤٢ قصص العقاب.

٩-١٧ قصة نوح.

١٨-٢٢ عقاب عاد.

٢٣-٣٢ حساب ثمود.

٣٣-٤٠ عقاب لوط.

٤١-٤٢ عقاب فرعون.

٤٣-٥٥ الخاتمة الأخروية.

في رأي Nöldeke و Schwally
(Geschichte، vol. 1، p. 122، إن السورة
Blachère (Coran، p. 563، غير مركبة، إذ أنها أنتجت بالكامل في نفس الوقت
(فهي مكية وفقاً للمصطلحات الموروثة من
التقليد الإسلامي).

ومع ذلك، يعتبر ريتشارد بيل في (التعليق،
المجلد ٢، ص ٣٢٧) أن بعض آياتها (مثل الآيات
٤٤-٤٥) قد تكون إضافات لاحقة.

تعليق

١-٨ مقدمة لنهاية العالم.

ريتشارد بيل في (التعليق ، المجلد ٢ ، ص ٣٢٣) يأخذ ١-٥ كوحدة واحدة تعالج نفي اقتراب الساعة. ويبدو أنه من الأفضل لنا أن ننظر في الآيات من ١ إلى ٨ معاً لأنها تتعلق جميعها بنفس موضوعات نهاية العالم الأخروية..

الآية رقم ١ تسببت في تدفق الكثير من الخبر من المفسرين المسلمين والعلماء المعاصرين. وهكذا قام بلاشير بترجمتها:

الساعة تقترب.. القمر ينقسم (اقتربت الساعة وانشق القمر).

الحدثان الموصوفان هنا مروعان بشكل لا لبس فيه. الأول، الذي نجد تشابهاً له في سورة

(الأنبياء: ١): {اقترب للناس حسابهم وهم في
غفلة معرضون} وكذلك في نفس السورة آية ٩٧
{واقرب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار
الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين} [الأنبياء : ٩٧]. ويتم التعبير عنها في
صياغة تذكرنا بآيات نهاية العالم في العهد القديم،
مثل سفر حزقيال (١٢ ، ٢٣: "الأيام قريبة") أو
في العهد الجديد مثل رسالة بولس الرسول إلى
الغلاطيين (١٠ ، ٢٥: "ترونا اليوم يقترب").

إن "عمران بدوي" في كتابه (الإنجيل
الآرامي، ص ١٨٤) يوفق بين هذا الحدث الأول،
وبين بيان إنجيل مرقس (١ ، ١٥) ، ومتى (٢ ،
٣): "اقتربت مملكة الله / ومملكة السماء"، موضحاً
أن القرآن "يعيد الصياغة بشكل عملي".

أما الحدث الثاني، وهو شق القمر، فهو ظاهرة
رؤيوية مذكورة في كتابات مختلفة، بما في ذلك
صعود موسى (انظر بيركيت، نهاية العالم اليهودية
والمسيحية، ص ٣٩ نقلاً عن بيل، التعليق، المجلد
٢، ص ٣٢٣).

لكن بيل يعتبر أن هذا ليس حدثاً أخروياً؛ لأن
هذه الظاهرة قد حدثت بالفعل وفقاً لنص القرآن
(وهو يعتمد على الآية الثانية لدعم رأيه).

ويرى بلاشر في كتابه (القرآن، ص ٥٦٤)
عكس ذلك، قائلاً: إن الأفعال المستخدمة في هذه
الآية قد تمت وانتهت، لكنها لا تعبر هنا عن عمل
تم وانتهى، بل عن عمل يُعتبر تحقيقه في المستقبل
أمراً مؤكداً.

ويعكس هذا التوتر بين الرأيين، خلافاً قديماً بين علماء المسلمين. ورأى معظمهم أن الفعل يجب تصريفه في الزمن الماضي (انشق القمر)؛ لأنه يعكس حدثاً وقع خلال حياة محمد (كسوف قمري، أو معجزة قام بها النبي).

أما بالنسبة للآخرين، فكان لا بد من قراءة الفعل في المستقبل (سوف ينشق القمر) بقدر ما يثير حدثاً مهولاً (انظر روبن: "رسالة محمد"، ص ٣٩-٦٠).

الحدث الثاني يتبع الأول في رأي كل من (Eschichte، Nöldeke and Schwally، vol. 1، p. 122) ويفهمه بعض العلماء (على سبيل المثال بيل) كما كان يفهمه المفسرون المسلمون من قبل، بأنه رد فعل "الكفار المكين" عندما طلبوا من محمد أن يعطي لهم علامة، أو

معجزة، وانشق القمر أمام أعينهم مباشرة.
بالطبع، هذا مجرد تفسير لاحق يتعلق بـ "أسباب
النزول".

والواقع أن صيغ التحدي والعناد شائعة للغاية
في القرآن، كما هو الحال في روايات موسى بشكل
خاص، الذي كثيراً ما يتهمه خصومه بممارسة
السحر، انظر: (الأعراف: ١٣٢؛ ويونس: ٧٦).
{ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ
لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } [الأعراف: ١٣٢] { فَلَمَّا جَاءَهُمْ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ }
[يونس: ٧٦].

٣-٥ هذه الآيات توسع الخطاب الجدلي
القرآني المعتاد، المتعلق برفض الآيات الإلهية، التي
جاء بها رسول الله، ووصف هؤلاء الخصوم بـ

"إعلان الكذب صراحة" (كذبوا): عندما جاءتهم
"قصص الأنبياء" التي كانت "نذر"، فكان الأمر
عديم الفائدة بالنسبة لهم (انظر سورة
يونس ١٠١). وهذه القصص من نوع (قصص
العقاب) التي يتناولها الجزء المركزي من هذه
السورة (الآيات ٩-٤٢).

يعتبر بيل في (التعليق، المجلد ٢، ص ٣٢٤)
أن الآيتين من ٦-٨ تشكلان وحدة أخرى تصف
مشهد البعث. ويوضح أنه إذا كانت الجملة الأولى
من فقرة ٦ مرتبطة بما سبق ذكره، فليس من المؤكد
أن هذا المقطع يمثل استمراراً للفقرات ١-٣.

الآية ٦ تواصل الجدل في البداية من خلال
مخاطبة "أنت" مجهول الهوية، والذي سيتم

استيعابه في محمد من قبل المفسرين المسلمين لاحقاً.

أولاً، يأمره النص بالابتعاد "عنهم" (وهذه إشارة إلى أولئك الذين وصفوه بالكاذب). ثانياً، تصف الآية ما سيحدث لهؤلاء الأعداء في "اليوم الأخروي" عندما يدعوهم "الداعي" إلى أمر "فظيع" (وفقاً لترجمة بلاشير للقرآن، ص ٥٦٤).

و"الداعي" لم يُحدد؛ كتب بيل في (التعليق، المجلد ٢، ص ٣٢٤) أنه ربما يكون ملاكاً، قبل أن يُذكر في أماكن أخرى من القرآن أنه النبي (سورة الأحزاب: ٤٦): (وداعياً إلى الله بإذنه)؛ و(الأحقاف ٣١): (يا قومنا أجيئوا داعي الله..). وهناك آيتان قرآنيتان أخريان تستحضران نفس هذه الصفة، لكن في سياق أخروي مشابه هما:

(سورة طه ١٠٨): (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له..!)؛ وسورة الروم: ٢٥): (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون).

الآيات ٧-٨ بشكل مماثل في سورة الروم: ٢٥ ، وهي فقرة ٧ التي تصف القيامة { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } [الروم : ٢٥].

وهنا يتسم الأمر بالتشويش: خروج الناس من القبور (أجداث)، وهو مصطلح أقل تكراراً من (القبور) في القرآن، وهو مشتق من "الجاديش" العبرية الذي له نفس المعنى في (سفر أيوب ٢١ ، ٣٢): (וְהוּא לְקַבְרוֹת יוֹבְלָל וְעַל גְּדִישׁ בְּנִקְוֹד) فهو لكفاروت يوفال وعل قاديش يشكود (هو إلى القبور يقاد وعل المدفن يسهر) (المرجع نفسه ،

ص ٣٢٤). "مثل جراد منتشر" و(انظر المعارج
(٧٠:٤٣) {يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا
كَآثَمِهِمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٣].

ويختتم العدد الثامن هذا الجزء الأخرى من
خلال نقل كلمات "الكفار": { هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ }
[القمر : ٨] وانظر سورة المدثر: { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ
يَوْمٌ عَسِيرٌ }.

٩-٤٢ (قصص العقاب)

٩-١٧ قصة نوح:

أول القصص الخمس لعقاب الشعوب
القديمة- التي تشكل قلب هذه السورة- هي
قصة نوح. وكما هو الحال، غالبًا في النصوص من
هذا النوع الوعظي، فإن دور هذه القصص هو

دفع المستمعين إلى التفكير في مصير الشعوب التي قبلهم (فقرة ٩) الذين لم يؤمنوا برسول الله ثم عوقبوا. ومن الواضح أن الهدف هو أن المعاصرين يتوبوا حتى لا يجدوا أنفسهم ضحايا للعقاب الإلهي.

في هذا الصدد، سنقارن "قصة العقاب" الأولى لنوح وسفينته، بالمخطوطات القديمة التي عُثر عليها في قرمان (ولكن ربما لا تنتمي إلى ما يسمى بالمجتمع "الأسيني").

لقد أطلق عليها الباحثون اسم "عظة على الطوفان" (يرمز لها Q٣٧٠٤): " تستند إلى تذكير مقتضب بالطوفان، وعقاب خطايا الأجيال الأولى" (ليجراند، Homélie sur le Délugee، ص ٢٨٣).

الآيات ٩-١٠ تفتتح قصة نوح في الآية التاسعة بالتذكير بأن "قوم نوح" جاهروا بالتكذيب العلني، أي ادعوا أن المبعوث كاذب (انظر سورة ١٠: ٧٣؛ وسورة ١١: ٢٧؛ وسورة ٢٦: ١١٧)، وممسوس (مجنون بتعبير القرآن)؛ وهو اتهام متكرر في القرآن (كما في سورة ١٥: ٦؛ س ٢٦: ٢٧؛ إلخ) ثم في الآية التالية، يضرع الشيخ الجليل "نوح" إلى الله ليساعده (انظر بشكل خاص سورة ٢٣: ٢٦؛ ولكن أيضًا سورة ١١: ٤٥، ٤٧. س ٢٦: ١١٨، س ٧١: ٥).

آية ١١ تبدأ بوصف الطوفان (راجع س ٧١: ٢٥) بتكرار المقطع المقابل في سفر التكوين (٧: ١١-٢): "... انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء ... " كما ورد في العظة القمرانية ٣٧٠٤ المذكورة أعلاه: (كل فتحات

السماء فتحت {...} وفتحات السماء هطل منها
المطر... " (ليجراند، عظة على الطوفان، ص
٢٨٥).

آية ١٢ على نفس المنوال يبدو أن قضية الطوفان
تتكيف بطريقتها الخاصة هنا: "غمرت مياه
الطوفان الأرض [...] / [...] تحطمت جميع
خزانات الهاوية العظيمة [...]" سفر التكوين ٧ ،
١٠-١١ بالضبط كما في المخطوطة رقم ٣٧٠٤:
(ثم اهتزت كل أسس الأرض، وانفجرت المياه
من الهاوية).

آية ١٣ تذهب إلى القول إن نوحاً وضع حرفياً
على "ألواح ذات مسامير" (ذات ألواح وُدسر)،
في إشارة مجازية إلى السفينة.

آية ١٤ في مكان آخر من القرآن (سورة ١١ :
٣٧؛ ٢٣ وسورة : ٢٧) تسمى السفينة (الفلك):
(واصنع الفلك بأعيننا) وكما هو الحال في هاتين
الآيتين، تستخدم الآية تعبير "أمام أعيننا"
(بأعيننا).

آية ١٥ تحتتم قصة نوح من خلال قول الله:
"ولقد تركناها آية"، وضمير المؤنث العربي (ها)
يمكن أن يشير فقط إلى السفينة. وتوجد حالة
مماثلة في مكانين آخرين ضمن قصة نوح: في سورة
٢٩: ١٥): (جعلناها آية) وفي سورة (٦٩: ١٢):
(لنجعلها لكم تذكرة).

ومن المؤكد، أن هذه المقاطع القرآنية تشير جميعاً
إلى خاتمة رواية الطوفان في سفر التكوين حيث
يقول الله: "وضعت قوسي في السحاب، فتكون

علامة ميثاق بيني وبين الأرض" (٩: ١٣). هكذا يجعل القرآن السفينة "علامة" أو "آية" أو "تذكيراً" (تذكرة)..، بينما يجعل العهد القديم "قوس قزح" علامة للعهد أحياناً، ولكنه أيضاً "ذكرى": (فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية) (تكوين ٩: ١٦).

ويُختتم المقطع الخامس بتوقع ما سيأتي لاحقاً من خلال استخدام الجملة الأخيرة من الجزء (ب) من الجوقة.

الآيات ١٦-١٧ تشكل هذه الآيات لازمة، مؤلفة من جزأين (أ و ب)، تعود في ختام كل "قصة عقاب" من هذه السورة (ماعدا قصة

فرعون). وفيما يلي نص الجزء (أ) من الفقرة ١٦ :
(فكيف كان عذابي ونذر).

الجزء (ب) من الفقرة ١٧ هو:

لقد سهلنا فهم القرآن من أجل التنوير. وهل
هناك من يستمد منه هذا التنوير؟ (ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر).

ريتشارد بيل في (التعليق ، المجلد ٢ ، ص
٣٢٥) لاحظ بشكل صحيح أن فقرة ١٦ فيها
(التفات) أو تغيير نحوي. بالنسبة له، إما لأسباب
تتعلق بالقافية، أو تماشياً مع الجوقة السابقة.

وبصرف النظر، عن التحول من صيغة المتكلم
المفرد إلى صيغة المتكلم الجمع، تجدر الإشارة إلى
أن الجزء (ب) ليس له علاقة موضوعية ببقية
السورة، بينما الجزء (أ) يناسب السياق تمامًا. لذلك

يبدو أن الجزء (ب) هو تكملة، كما يوحي بذلك
الاستخدام المنفصل لهذه الأجزاء في عقاب عاد
وتمود.

ومن حيث معنى الجوقة ذاتها، فهم بيل الفعل
العربي (يسرنا) (المرجع نفسه، ص ٣٢٥) على أن
الفقرة ١٧ تعني "جعلنا القرآن بالعربية". وتجدد
الإشارة إلى أننا نتعامل في مكانين آخرين من
النص القرآني بصيغة مشابهة للجزء (ب) من
الجوقة؛ أولاً في سورة ١٩ : ٩٧ : {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا^{هُ}
بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} ثم في
سورة (الدخان: ٥٨) {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا^{هُ} بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ}.

قارن جون وانسبرو في (الدراسات القرآنية ،
ص ٩٩) الجزء (ب) من جوقة سفر الخروج

(٤:١٥) حيث يخاطب الله موسى بهذه الكلمات:
"وانا أكون مع فمك". وبالتالي، بالنسبة إلى
وانسبرو، لن يكون ذلك إشارة إلى اللغة العربية
بقدر ما هو مؤشر على الإبلاغ النبوي.

١٨-٢٢ حساب "عاد"

الفقرات من ١٨-٢٠ تشكل "قصة عقاب"
الشعب العربي القديم عاد، والتي تلحقها اللازمة
التي في الآيات ٢١-٢٢.

والآية تبدأ بشكل مشابه لمقدمة قصة نوح
"كذبت عاد" يتبعها على الفور الجزء (أ) من
الكورال الذي سيتكرر في العدد ٢١ ، متبوعاً
بالجزء (ب) في الفقرة ٢٢.

قصة عاد التي هي بالتأكيد معروفة جيداً
للمستمعين لا تحتاج إلى أن تقال بالتفصيل. وهذه
الآيات المختصرة تدخل في صلب الموضوع:
فالناس أعلنوا تكذيب رسول الله المسمى هود
(آية ١٨)، وهو يعني ضمناً أنهم عوملوا على نحو
مماثل لقوم نوح. وبسبب رفضهم، أرسل الله لهم
عقوبة كانت في هذه الحالة "إعصاراً مدمراً" (ريحاً
صرصراً) وللإطلاع على صفة أخرى تصف
"الرياح" انظر سورة (٤١:٥١).

٢٣-٣٢ عقاب ثمود:

قصة عاد تليها قصة الشعب العربي القديم
ثمود، والتي تمتد من فقرة ٢٣ إلى ٣١، تتخللها
الجوقة في فقرة ٣٠ و٣٢.

آية ٢٣ على غرار الروايتين السابقتين بشأن العقوبة، تبدأ فقرة ٢٣ بتوجيه الاتهام إلى هذا الشعب: لقد تعاملوا مع تحذيرات المبعوث على أنها أكاذيب.

الآيات ٢٤-٢٦ هذه الآيات تتحدث بدقة أكبر عن مضمون كفر (ثمود) من خلال سرد أقوالهم عن رسول الله (صالح) الذي لم يذكر اسمه هنا، لكن انظر (سورة ٧: ٧٣-٩ على وجه الخصوص). فقد قالوا إنهم باتباعهم إياه سيكونون في انحراف و جنون: (في ضلال وسعر) (آية ٢٤)، وهي نفس الصيغة التي ستستخدم لوصف "المذنبين" المعاصرين للخطاب القرآني في فقرة ٤٧ (إن المجرمين في ضلال وسعر).

الآيات ٢٧-٢٩ هذه الآيات تتحدث بطريقة
تلميحية عن قصة الجمل، التي تروى في مكان
آخر من القرآن بطريقة مفصلة إلى حد ما، في
سورة (٧: ٧٣؛ س ١١: ٦١-٥؛ س ١٧: ٥٩.
س ٢٦: ١٥٥-٧، أو في س ٩١: ١٣).

ووفقاً لرأي ريجيس بلاشير (القرآن، ص
٥٦٥) إن فقرة ٢٨ "غامضة" ويقترح المفسر
المسلم الطبري (ت ٩٢٣/٣١٠) تأويلها بقوله
٢٦: ١٥٥: "ها هي الناقة، متروك له الشرب [في
يوم واحد]، ومتروك لكم الشرب في (يوم آخر)
محدد.

آية ٣١ في هذه القصة، تتداخل الجوقة مع
فقرة ٣١ التي تعلن عن معاقبة (ثمود) (انظر على
وجه الخصوص سورة ١١: ٦٧)؛ ثم ٢٩: ٣٦ ثم

٣٨:١٥)؛ .. إلخ . وعلى هذا فإن الجزء (أ) من الجوقة هو فقرة ٣٠ والجزء (ب) هو فقرة ٣٢.

قصة ٣٣-٤٠ لوط

تبدأ من فقرة ٣٣ إلى ٣٨، تليها الكورال في فقرة ٣٩-٤٠، (ارجع إلى الكتاب المقدس، لتفهم قصة عقاب قوم لوط).

فقرة ٣٣ تستخدم نفس الصياغة بالضبط المستخدمة في الفقرة رقم ٢٣ لتقول: إن أهل لوط تعاملوا مع تحذيرات لوط على أنها كاذبة.

في فقرة ٣٤ يتم الإعلان عن عقابهم: بأنهم يتلقون "سحابة من الحجارة (انظر س ٧ : ٨٤)، ولا شك أن هذه الفقرات تكيفت بطريقتها الخاصة لتتلاءم مع مطر الكبريت والنار الذي

يسقط من السماء في سفر التكوين (١٩، ٢٣-٤).
ويذكر القرآن أن أهل لوط نجوا من هذه العقوبة
(راجع س ٧: ٨٣: س ١٥: ٥٩ ، س ٢٩: ٣٣) كما
هو مبين في سفر التكوين ١٩: ١٥ .

الآية ٣٦ تدخل في تفاصيل أكثر قليلاً بشأن
الاتهامات الموجهة ضد قوم لوط.

الآية ٣٧ بعد ذلك مباشرة تستحضر العقاب
الذي أصاب هؤلاء الناس: حرفياً "مخونا
عيونهم"، وهو تعبير يترجمه بلاشير (القرآن ، ص
٥٦٦) على أنه "ضربنا أعينهم بالعمى" ، والذي
يشير، حسب قوله، إلى سفر التكوين ١٩، ١١ :
"فضرباهم بالعمى...".

الآيات ٣٧-٤٠ في هذا العقاب، تنقسم الجوقة
على النحو التالي: الجزء (أ) في نهاية فقرة ٣٧، ٣٨

يعلن العقوبة التي تلقاها قوم لوط. ثم ٣٩ يكرر
الجزء (أ) من الكورال ويختتم بالجزء (ب) من
الجوقة في فقرة ٤٠.

٤١-٤٢ حساب فرعون

تتناول هذه الآيات- بإيجاز شديد- قصة
فرعون (لصيغة طويلة، انظر سورة ٧: ١٠٣-
١٣٧)، وشرح في فقرة ٤١ أن التحذيرات جاءت
إلى "بيت فرعون" (آل فرعون)، وأن الناس
وصفوها بأنها أكاذيب (فقرة ٤٢) فتمت إبادتهم.

وتتميز هذه "الرواية العقابية" هنا ليس فقط
بإيجازها، ولكن أيضا لحقيقة أنها لا تنتهي
بالجوقة.

٤٣-٥٥ الخاتمة الأخروية:

يعود القسم الأخير من السورة إلى الموضوع الأخروي والجدل الذي كان في البداية (الآيات ١-٨).

في الفقرة ٤٣، ضمير الجمع الثاني- الذي لا نعرف هويته- يتم تبنيه من قبل الواعظ/ المبرر (أو من قبل الله وفقاً للتفسير التقليدي).

ويطلب منهم من جهة ما إذا كان غير المؤمنين (كفاركم) أفضل من (أولئكم)، أي من الشعوب التي تمت معاقبتها في الماضي. ومن جهة أخرى إذا كان لديها "براءة من الكتاب المقدس؟"، وهو مصطلح ترجمه بلاتشيرب "الغفران". (قرآن، ص ٥٦٦)، والذي لا يظهر في مكان آخر من المصحف إلا في (سورة ٩: ١)، وفقاً لوانسبرو

(الدراسات القرآنية ، ص ١١-٢). هذه الكلمة لها نفس الأصل في العهد القديم بالعبرية בְרִית bérīt التي تعني "الميثاق" وهو رأي يشاطره فيه لوكسنبرخ (القراءة السريانية الآرامية، ص ٩٧-٩٨) فتقرأ الآية " .. هل لديك عهد في الكتاب المقدس؟".

و(الزبر) باللغة العربية، لا يمكن أن يعني "المزامير" كما هو الحال في أي مكان آخر في القرآن، (كما جاء في ملاحظة بيل، في التعليق ، المجلد ٢ ، الصفحة ٣٢٧ ، وكما ورد في ترجمة بلاشير).

الآيات ٤٤-٤٥ يعتبر بيل في (التعليق، المجلد ٢، ص ٣٢٧) هذه الآيات إضافة لاحقة. ويشير إلى أنها تعتبر تقليدياً إشارة إلى معركة بدر. هذه

الفكرة من الشروح الإسلامية مأخوذة من بلاشير
(القرآن، ص ٥٦٦) فيما يتعلق بفقرة ٤٥، عندما
كتب: "إشارة إلى هزيمة المشركين المكيين في بدر
عام ٦٢٤".

الآيات ٤٦-٤٨ وفقاً لبيل في (التعليق، المجلد
٢، ص ٣٢٧) ينبغي أن تكون كل هذه الآيات
ذات صلة بفقرة ٤٣. هذه المجموعة من الآيات
تتعامل مع الساعة كإجراء عقابي مروع.

وفقاً لبيل (المرجع نفسه، ص ٣٢٨)، فإن
الفقرات ٤٩-٥١ مستقلة عن بقية الفقرات، رغم
إقراره بأنه من الممكن النظر إليها على أنها استجابة
للفقرة ٤٣. يقول نفس الشيء عن الفقرة ٥٢-
٥٣.

الآية ٥٠ تقول: أمرنا واحد فقط سريع، مثل
"غمضة عين"؛ تستحق بعض التعليقات.

إن استخدام مصطلح (أمر) مثير للاهتمام بقدر
ما لا يحمل هنا معنى أي "أمر" أو "شأن"، إنما
أمر نهاية العالم - الأخرويات، كما يوحي سياق
المقطع، وهناك فقرة مماثلة في [النحل : ٧٧]:
{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ
إِلَّا كَلِمَةٍ بَصِيرَةٍ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}

لا شك في أننا يجب أن نرى في هاتين الصيغتين
مرجعاً من النوع الوعظي للتعبير الأخروي: "في
لحظة، في غمضة عين" الذي يستخدم لوصف
سرعة القيامة في ١ كو ١٥:٥٢ (في لحظة، في
طرفه عين، عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام
الأموات..).

في الواقع، بالإشارة إلى نفس تعبير العهد الجديد هذا، كتب جاك دي ساروج (ت ٥٢١) في عظته "في النهاية" (ج. ٣٥١) : أن "جنف العين ليس بنفس سرعة أمره" [pūqdônêh] ويمكن ترجمة هذا المصطلح الأخير إلى "أمر".

الآيات ٥٢-٥٣ تشير هذه الآيات إلى أن جميع أفعال البشر، الكبيرة أو الصغيرة (انظر س ٢: ٢٨٢)، مكتوبة (مستقر، انظر س ٥٢: ٢) في الزبور، وهذا المصطلح نفسه هو الذي تم استخدامه في عدد قليل من الآيات أعلاه (فقرة ٤٣) والذي لا يمكن إنكاره أنه يحمل المعنى العام لـ "المكتوب السماوي".

^١ لم أقدر على التوصل لترجمة هذا المصطلح الذي على ما يبدو من المصطلحات العبرية القديمة.

الآيات ٥٤-٥٥ يعتبر ريتشارد بيل (التعليق ،
المجلد ٢، ص ٣٢٨) الآيتين الختاميتين اللتين
تصفان مكافآت الصالحين (انظر سورة الحجر:
٤٥) لا ينتميان إلى استمرار الآيات السابقة، بل
يجب أن يكون مكانهما بعد الآيات ٤٦-٤٨.

تعليق المترجم على تفسير سورة القمر

ما يلاحظه القارئ في كتابات المستشرقين أنها
تمتاز بالتظاهر بالبحث العلمي المحايد النزيه،
مشفوعاً بالأساليب الحداثية، والمصطلحات
السياسية المعاصرة المأخوذة من الأخبار، والتقارير
الصحفية.. فتجدهم يفوهون أحيانا ببعض
الحقائق هنا وهناك، بأسلوب علمي، يستقصي
جوانب الموضوع، لكنها تظل حقائق مغموسة
بالسم.. هذا الأسلوب في الكتابة قليل الاستخدام
من قبل المؤلفين المسلمين، لهذا ينخدع المثقفون
بهذا الأسلوب ويعجبون به، ويسعون إلى تقليده،
معجبين باللغة التي يطنطن بها كهان المستشرقين.

والدراسات التبشيرية، في العصر الأخير،
أصبحت أشد خبثاً وأخفى مكرراً وأعظم شراً،
على عكس الماضي، لأنها أصبحت دراسات
موجهة إلى فئة معينة، لذلك لا تنشر على الملأ، أو

على نطاق واسع، لأن في العالم الإسلامي علماء
أفذاذ يقدرون على دحرها وقتلها في مهدها.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لو كنا نعتقد
أن قرآنا يفسره أمثال هؤلاء، فهذا شك في كتاب
الله، وافتقار إلى اليقين به؛ لأن الله عز وجل يقول
"لا يمسه إلا المطهرون"، يعني لا يقدر على
الغوص في معانيه الصحيحة إلا الأَطهار المقربون.

والسؤال هنا: هل يمكن لمستشرق لا يعرف
الطهارة، ولا الوضوء، ولا الصلاة.. علاوة على
أنه آكل للحم الخنزير، وعلاوة على أنه لا يشرع
في تفسير القرآن إلا بعد أن يحتسي كأساً من
الخمير!. هل أمثال هؤلاء يمكن أن يعطونا المعاني
الصحيحة لكتاب الله عز وجل؟

أعتقد أن هذه القراءات أو التفاسير أو الكتابات، أو قل عنها ما شئت.. هذه الكتابات علاوة على أنها مضيعة للوقت، فهي ذات ضرر على دين المسلم، ويقينه، وتقواه.. وهي دراسات موجهة إلى فئة معينة هي الشيعة، على وجه الخصوص للإيقاع بينهم وبين أهل السنة، بهدف إحياء الخرافة القديمة القائلة: إن القرآن الذي بين أيدينا الآن قرآن غير صحيح، والقرآن الصحيح يوجد مع الإمام الغائب!

كما يسعى المستشرقون من وراء هذا العمل إلى إثبات أن الذي قام بكتابة المصحف هم مجموعة من المؤرخين المسلمين، وليس هو وحي السماء، لأن القرآن يقتبس كثيراً من آيات الكتاب المقدس، وبالتالي هم يستغربون أن النبي صلى الله عليه وسلم يقدر- وهو الأمي الذي لا يعرف

القراءة والكتابة- أن يقتبس من التوراة والإنجيل
بهذه الطريقة العجيبة المعجزة، وبالتالي هم
يستبعدون ذلك ويستكثرونه عليه. وهذا إن دل
على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن قد حير
العالمين، ولا يقدر جهد شخص محروم من وحي
السماء أن يحيط به، أو يأتي بمثله..

هؤلاء المستشرقون يفترضون أن الذي قام
بكتابة كثير من آيات القرآن، فريق من المؤرخين
المسلمين بعدما قرأوا الكتاب المقدس، وتبحروا
في دراسة التوراة والإنجيل، وعرفوا كل آيات
التوراة..

كذلك يسعى المؤلفون لهذا الكتاب لإرجاع
كثير من المصطلحات القرآنية إلى اللغة العبرية..
لكن من الثابت بين العلماء المنصفين أن اللغة

العبرية، هي التي اقتبست من اللغة العربية وليس العكس، لأن اللغة العربية هي لغة اشتقاقية تعمل كمنظومة واحدة على عكس اللغة العبرية.

وأضرب مثلاً على ذلك من خلال سورة القمر قولهم: (مصطلح أجدات يعني قبور مشتق من "الجاديش" العبرية الذي له نفس المعنى في "سفر أيوب ٢١ ، ٣٢": (וְהוּא לְקַבְרוֹת יוֹבָל וְיֵלֵא בְּדִינָא בְּנִיבָקוּד) فهو لِكْفَارُوت يوفال وعل قاديش يَشْكُود (هو إلى القبور يقاد وعل المدفن يسهر) (المرجع نفسه ، ص ٣٢٤). "مثل جراد منتشر" و(انظر المعارج (٧٠:٤٣) {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٣].))

وقولهم: (كلمة براءة مشتقة من الكلمة العبرية
בְרִית bérīt التي تعني "الميثاق") وغير ذلك..

أقول: إن جمع لغات العالم هي التي اقتبست من
اللغة العربية وليس العكس، وأضرب مثلاً لذلك
بكلمة (بنان) في قوله تعالى: (فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ). نجد أن كلمة
"بنان" تعني أصابع اليد.

وبالتالي فإن اللغة الإنجليزية، وجميع لغات
العالم، عندما أرادت أن تطلق اسماً على "الموز"
وجدته يشبه الأصابع، فأطلقوا عليه بالفرنسية:
(banana بنان)، وبالإنجليزية: (Banana)،
وبالعبرية: (בננה بنانا)، وبالأكرانية: (Банан)
فنان)، وبالإيطالية: (Banana بنانا)..

ثم اشتقوا من كلمة "بنان" اسماً لكل شيء
يشبه الأصابع مثل:

(Pen)، قلم حبر (Pencil) قلم رصاص،
(Pin دبوس) وغير ذلك من الأسماء..

هذا يدل على أن جميع اللغات هي التي اقتبست
من اللغة العربية وليس العكس..

أعود إلى كلامهم عن سورة القلم فأقول: إن
هذا الكتاب، ليس فيه جديد، وهو يمتلئ بالكثير
من الأكاذيب والتناقضات مثل قولهم:

(الزبر باللغة العربية، لا يمكن أن يعني
"المزامير" كما هو الحال في أي مكان آخر في
القرآن..)

بينما نجده في نهاية كلامه عن سورة القمر
يناقض نفسه فيقول:

(..تستحضر هذه الآيات حقيقة أن جميع أفعال
البشر، صغيرة كانت أم كبيرة ، مكتوبة في
الزبر...)

مع أنه قبل قليل قال: لا يمكن أن كلمة الزبر
تعني المزامير في القرآن.

ومن أمثال تشكيكهم في وحي القرآن قولهم في
نهاية كلامهم عن سورة القمر:

(الآيات ٤٤-٤٥ يعتبرها بيل في (التعليق،
المجلد ٢، ص ٣٢٧) إضافة لاحقة. ويشير إلى
أنها تعتبر- تقليدياً- إشارة إلى معركة بدر. هذه
الفكرة من التفاسير الإسلامية مأخوذة من بلاشير
في كتابه (القرآن، ص ٥٦٦) فيما يتعلق بفقرة ٤٥،
عندما كتب: "إشارة إلى هزيمة المشركين المكين
في بدر عام ٦٢٤" ..)

هم بهذا الكلام يحاولون نفي نبوءات القرآن
الكريم، فهم يحاولون إثبات أن الآيات- التي
أنبأت في مكة، قبل وقوع معركة بدر بست سنين،
بأن المشركين سيهزمون في بدر- أن هذه الآيات
إضافات لاحقة.. إذ كيف لسورة مكية، من
وجهة نظرهم طبعاً، أن تتنبأ بمعركة بدر قبل
وقوعها بسنوات!.. لذلك هم يزعمون أن الآيات
التي تتحدث عن معركة بدر إضافات لاحقة،
ساعين بذلك لنفي أي نبوءة في القرآن الكريم،
حتى يثبتوا أنه كلام بشري وليس كلام إلهي.

وهم لا يتركون شبهة من شبهات المستشرقين،
في مؤلفاتهم السابقة، إلا زجوها في هذا المؤلف
بطريقة ما، متظاهرين بأنهم مجرد ناقلين للآراء
فحسب!

ومن جهلهم في فهم ترتيب آيات القرآن قولهم:
(يعتبر ريتشارد بيل (التعليق ، المجلد ٢ ،
الصفحة ٣٢٨) الآيتين الختاميتين اللذين تصفان
مكافآت الصالحين لا تنتميان إلى استمرار الآيات
السابقة، بل يجب أن يكون مكانهما بعد الآيات
٤٦-٤٨).

وهذا جهل وعدم فهم لتناسق القرآن الإلهي
المعجز، ولننظر إلى ترتيب الآيات كما هي الآن في
المصحف الشريف: يقول تعالى:

٤٦ - بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر

٤٧ - إن المجرمين في ضلال وسعر

٤٨ - يوم يسحبون في النار على وجوههم

ذوقوا مس سقر

٤٩ - إنا كل شيء خلقناه بقدر

٥٠ - وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر

٥١ - ولقد أهلكنا أشياءكم فهل من مدكر

٥٢ - وكل شيء فعلوه في الزبر

٥٣ - وكل صغير وكبير مستطر

٥٤ - إن المتقين في جنات ونهر

٥٥ - في مقعد صدق عند مليك مقتدر

نلاحظ أن هذه الآيات تسير بشكل متناسق وتتحدث عن حال الكفار المكذبين بالآخرة، ثم لا تنتقل إلى الحديث عن أجور المؤمنين، قبل أن تستوفي الحديث عن أحوال الكافرين، ثم تأتي الخاتمة السعيدة التي ترتاح لها النفس، كما يحدث في الأفلام السينمائية ذات النهايات السعيدة،

عندما يتم معاقبة الأشرار ومكافأة الأخيار،
فيقول تعالى:

٥٤ - إن المتقين في جنات ونهر

٥٥ - في مقعد صدق عند مليك مقتدر

كما نلاحظ أن هذه النهاية تتصل ببداية سورة
الرحمن التالية لسورة القمر والتي تقول:

١ - الرحمن

وكأن النهاية أصبحت هكذا:

(إن المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند

مليك مقتدر، الرحمن..)

ثانياً :
سورة الطارق

GUILLAUME DYE

SOURATE 86

AL-TĀRIQ

(L'ASTRE] NOCTURNE])

٨٦ الطارق

(النجم الليلي)

الهيكل العام

السورة تتكون من ١٧ آية. وعنوانها مأخوذ من الآية ١-٢. وقوافي السورة: ق، ب (آية ١-٧ باستثناء آية (٤)، ع (آية ١١-١٤)، د (آية ١٥-١٧).

تعكس تغييرات القافية إلى حد كبير التعبير عن السورة. ويمكننا تقسيم السورة إلى ثلاثة أجزاء:

١- الآيات من ١ - ١٠ تنشئ توازياً بين قدرة الله على الخلق، وقدرته على بعث الموتى.

٢- والآيات من ١١-١٤ تدرج تحت نوع
تأكيد الوحي (نويرث، القرآن، المجلد ١ ، ص
٣٢٣).

٣- والآيات من ١٥-١٧ خطاب رسمي، من
فم الله، على افتراض أن محمداً هو المرسل إليه.

آية ١٧، (وخلافاً للأقسام السابقة) تقدم الدعم
للسول، وتذكر بأن الله أكثر مهارة وخديعة من
خصومه. وعلى عكس معظم السور- المجاورة
لهذه السورة- لا تتمحور هذه السورة حول نهاية
العالم المخيفة.

المخطط:

الآيات ١-١٠ الله الخالق الباعث.

الآيات ١١-١٤ تأكيد الرسالة.

الآيات ١٥-١٧ دعم الرسول.

تعليق

الآيات ١-١٠ الله الخالق الباعث:

بعد القَسَمِ المبهم، (في آية ١) تكشف الآيات
(٢-٣) عن هذا المقطع الغامض "وتسوق معجزة
تناسل الخلق كدليل على القيامة" (Blachère,)
(Tr., p. 646)، وفقاً لحجة متكررة في النص
القرآني (انظر سورة ٢٣: ١٣-١٦ ؛ ٣٠: ١٩) ؛
٣٦: ٧٧-٧٩ ؛ ٥٣: ٤٦-٤٨ ؛ ٧٥: ٣٦-٤٠ ؛

٨٠: ١٧-٢٢ ، والتعليقات المضافة في المرجع،
أندريه، الأصول، ص ١٦٩-١٧٢).

الآيات من ١-٣ تبدأ بيمين يشير إلى السماء^٢
والطارق، وهو مصطلح غامض؛ لأن الآيات
التالية تقدم إيضاحاً. (انظر آية ٢ وتعبير: وما
أدراك ما..؟ "هل تعرف ماذا؟ ... "انظر أعلاه
تعليق ٦٩: ٢-٣).

ما المقصود بالطارق؟ الفعل طَرَقَ taraqa
يعني القدوم إلى منزل شخص ما ليلاً.. وتعني
الاعتداء على شخص ما خلال الليل.. وتعني
القيام بغزو ليلي..".

^٢ القسم يشير إلى سورة (البروج: ١) ويمكن للمرء أن يعتقد أن
المحررين، اختاروا وضع السورة في هذا المكان من الكتاب، على وجه
التحديد، تجاوباً مع بداية السورة السابقة (المؤلف).

لذلك اقترح المفسرون (المفسرين المسلمين) تفسيرات شتى للطارق: فوفقاً لبعض التقاليد، يتعلق الأمر بالزهرة، المسماة "نجمة الصباح" (آخر نجمة تختفي في الصباح)، و"نجمة المساء" (أول نجمة تظهر في المساء).

تقاليد أخرى تدعي أنه ربما يكون مُذنبًا، والبعض لا زالوا يعتقدون أنه نجم من مجموعة كوكب زحل (لأنه يظهر في الليل ويختفي أثناء النهار).

وأخيراً، يقول آخرون يحتمل أنه أي نجم من النجوم التي تظهر في الليل.

أما المترجمون المعاصرون فهم منقسمون بشكل متساوٍ؛ منهم من يعتبر المصطلح هو: "النجم الليلي" (بلاشير ، ماسون)، ومنهم من يعتبره

"نجم المساء" (فخري)، ومنهم من يعتبره "النجم
النابض" (عبد العزيز)، ومنهم من يعتبره "الزائر
الليلي" (خوام)، أو "الوافد في المساء" (بيرك).

إيضاح آية ٣ : النجم الثاقب، "النجم الذي
يخترق الليل" (بلاشير)، "النجم الذي يتألق بشدة
"(ماسون)، وتستحضر سورة ٣٧: ١٠ "شهاب
ثاقب، شعلة خارقة، أي: المذنب. لذا يمكن أن
نميل إلى اعتبار "الطارق" هو "المذنب" (بيل،
التعليق، المجلد ٢، ص ٥٢٣).

ومع ذلك، يمكن أن يكون للطارق معنى أكثر
دقة هنا. لنعد إلى آية ٢، "وما أدراك ما الطارق؟"،
"من الذي سيعلمك ما هو الطارق؟".

نحن نعلم أن صيغة "وما أدراك؟" تهدف إلى
جذب انتباه متلقي الرسالة (وهو دور سبق أن

لعبه القسم في آية ١). ومن ثم، فإن الإجابة على السؤال المطروح، تفيد في إيصال مفهوم، يعتبره مرسل الرسالة محورياً. وفي القرآن، يرتبط هذا التعبير دائماً بالمصطلحات الأخروية (نهاية الزمان) انظر: (سورة ٦٩: ٣؛ ٧٤: ٢٧؛ ٧٧: ١٤؛ ٨٢: ١٧-١٨؛ ٨٣: ٨، ١٩؛ ٩٠: ١٢؛ ١٠١: ٣؛ ١٠٤: ٥).

وهناك ثلاثة مصطلحات فقط لا تقع ضمن هذا المجال الدلالي: العقبة (سورة ٩٠: ١٢) وتعني السبيل الذي يجب انتهاجه من أجل الخلاص. وليلة القدر (سورة ٩٧: ٢). والطارق في هذه السورة.

أما إذا اتبعنا التفسيرات التي قدمها المفسرون، فمن الصعب أن نرى لماذا يستخدم القرآن هذه

الصيغة لتعيين النجم الذي هو نجمة الصباح، أو
ليحدث عن نجم، أو ظاهرة فضائية غير مؤذية
نسبياً.

من ناحية أخرى، إذا اعترفنا بأن "ليلة القدر"
تستحضر بالفعل ليلة الميلاد (انظر جيوم داي،
"ليلة القدر"، أدناه، شرح سورة القدر).

فمن الممكن أن يكون الطارق نجم الميلاد
(نجم يعقوب^٣، نجم المجوس)، راجع سفر العدد
١٧: ٢٤.

^٣ يطلق عليه اليهود نجم يعقوب أو نجم نبيرو وفقاً لآية في الكتاب
المقدس تقول: (כֹּכֵב מִיַּעֲקֹב וְקַם נִשְׁבֵּט מִיִּשְׂרָאֵל וּמַחֲזֵ פְאֵתֵי
מִזְאָב וְקִרְקַר כָּל-בְּנֵי-יִשְׂרָאֵל) (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب
من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب، ويهلك كل بني الوغى) (سفر العدد
١٧: ٢٤) وعندما يظهر هذا النجم فسوف يحل في العالم خراب كبير كما
يقولون. ويعتقد بعض المسلمين أنه النجم المشار إليه في قول النبي
صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم عموداً من نار من قبل المشرق في شهر

وعلى هذا فإن إفریم، حين یصف نجم المیلاد، يتحدث عن "نجم الضوء"، أو "نجم المیلاد"، (ترانیم فی المیلاد، الرابع والعشرون، ٥، ٧، ٨، ١٣، ٢٣، ٢٥)، والنسیحا "nasīhā"، "النجم الساطع المشع" (المرجع نفسه). والتعبیر الأخير یمکن ترجمته باللغة العربیة إلى النجم الثاقب (انظر دای، "لیلة القدر"، ص ١٥٩-١٦٤).

الآیة ٤، تبدو منفصلة، ولا تتناغم مع البقیة، فهی تشير إلى الملائكة؛ انظر سورة الانفطار من آیة ١٠-١٢ والتعلیقات علیها.

الآیات من ٥-١٠ مثال ممتاز علی الحجة القائلة بأن من لده القدرة علی الخلق، لده أيضاً القدرة

رمضان فی الساء فأعدوا من الطعام ما استطعتم فإنها سنة
جوع)(الترجم).

على الإحياء (في آية ٨، "العودة"، "رجع"، تعني
القيامة).

وبالنسبة لخلق الإنسان، انظر على سبيل المثال
سورة ٢٢: ٥ ؛ ٢٣: ١٣-١٤ ، والتعليقات في
الحاشية. في آية ٨، اللاحقة (إنه على
رجعه)(ضمير الغائب) في "إنه" ، بمعنى: "حقاً،
هو... " تشير إلى الله، ولكن لم يتم ذكرها من قبل.
والآيات من ٩-١٠ تذكر بأنه لن تكون هناك
شفاة، ولا إمكانية للهروب من الحكم:
"ستختبر الأسرار" (آية ٩ ، تبلى السرائر)، انظر
رومية ٢، ١٦ ؛ ١ كو ٤، ٥.

٤ يشير إلى رسالة بولس إلى أهل رومية: (في اليوم الذي فيه يدين الله
سرائر الناس..) وإلى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:
(فاني لست اشعر بشيء في ذاتي لكنني لست بذلك مبرراً و لكن الذي
يحكم في هو الرب. اذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب
الذي سينير خفايا الظلام و يظهر آراء القلوب) (المترجم)

١١-١٤ تأكيد الرسالة:

النص يغير القافية مرة أخرى. وصدى القسم في آية ١ يتردد في الآيات من ١١-١٢ جزئياً، حتى لو كانت إشارات إلى الأرصاد الجوية والظواهر الأرضية.

في آية ١١ (والسما ذات الرجع) يقول litt "السما لها خاصية العودة"، لا شك أنها تشير إلى الأمطار الموسمية؛ "رَجْع". هنا أصداء لآية ٨، التي تذكر أن عودة الفصول والأمطار التي غالباً ما يتم تقديمها في القرآن كدليل على قدرة الله والقيامة (انظر على سبيل المثال سورة ٢: ١٦٤)؛

٤٥ : ٣-٥ ؛ ٥٠ : ١١ ؛ أندريه ، أصول ، ص
(١٧٢).

في آية ١٢ تشير عبارة "الأرض المتشققة" إلى
إنبات البذور، انظر سورة عبس: ٢٦.

الآية ١٣ (انظر سورة الحاقة ٤٠؛
والتكوير: ١٩) تتحدث عن "كلمة حاسمة"
(قول فصل)؛ وفي معنى الفصل، انظر أعلاه،
شرح سورة فصلت من آية (٢-٣)، التي تميز بين
الحقيقي والزائف (بيل ، التعليق ، المجلد ٢ ، ص
٥٢٥ ؛ وانظر سورة ص: ١٩ ، فصل الخطاب،
"ملكة الحكم الجيد". وللمرء أن يعتقد أنها كلمة
تتعلق بما هو مهم حقًا، ألا وهو الحكم، لأن كلمة
الفصل تتعارض مع الخطابات التافهة (الآية ١٤ ؛

° قوله انظر أعلاه يقصد انظر إلى تفسيره لسور سابقة على هذه السورة.

حول نقد التفاهات والخطب العبيثة، انظر على
سبيل المثال سورة ٢٣ : ٣ ؛ ٢٥ : ٧٢ ؛ ٥٥ : ٢٨ ؛
٤٥ : ٧٤) ؛ ولكن يمكن اعتبارها أيضًا إشارة إلى
الصفات الرسمية للخطاب (انظر س ٦ : ٩٧ ،
فصلنا الآيات: "نكشف العلامات بوضوح").

الآيات من ١٥-١٧ دعم للرسول:

الصلة مع الآيات السابقة غير واضحة، وإن
كان يمكن الافتراض ضمنا أنها بسبب رد الفعل
السلبى للمستمعين "للكلمة" المشار إليها في آية
١٣.

وإذا افترضنا، بشكل معقول جداً، أن المبعوث
القرآني هو الموجه إليه الأمر في آية ١٧ ، فيجب أن
نعترف، بعد ذلك، أن هذا الخطاب قيل من فم

الله، وأنه يهدف إلى تشجيع الرسول في مواجهة خصومه، مذكراً إياه بأنه يحظى بدعم من الله، الذي هو أكثر مهارة وخديعة من خصومه (حيث يبدو أن الآيات ١١-١٤ منسوبة إلى الرسول البشري).

وفكرة وجود إله أفضل، في المكر والخديعة، من غير المؤمنين، موجودة في القرآن، انظر على سبيل المثال سورة ١٠: ٢١ والتعليق، المجلد. ١/٢ ، ص. ٤٣٦ ؛ انظر أيضاً على سبيل المثال سورة ٣: ٥٤ ؛ ٧: ١٨٣ ؛ ٨: ١٨ ؛ ٢١: ٧٠ ؛ ٢٢: ١٥ ؛ ٢٧: ٥١ ؛ ٣٧: ٩٨ ؛ ٤٢: ٥٢ ، ٤٦ ، ٤٥: ٦٨ ؛ ٧٧: ٣٩ (انظر التعليقات والحواشي هناك) ١٠٥: ٢ ؛ انظر أيضاً س ٤: ٧٦ . ١٢: ٥ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٥٢ . وفي فترة الإمهال القصيرة آية

١٧، انظر سورة المزمل: ١١ والشرح الملحق في
المكان.

تعليق المترجم على تفسير سورة الطارق

يسير المستشرقون في تفسيرهم الموسوم بـ (Le coran des historiens) (قرآن المؤرخين) على وتيرة واحدة، فهم يتناولون السورة كما يتناول نقاد الأدب قصائد الشعر، فيذكرون- في بداية كل سورة- القافية التي تنتهي بها جميع الآيات.. ومن ثم يقسمون السورة إلى مقاطع، يضعون لكل مقطع عنواناً مناسباً، ثم يتحدثون عن كل آية في المقطع، فيذكرون جميع الآيات التي تتشابه مع الآية في ألفاظها الظاهرة، دون غوص إلى المعاني الكامنة وراء هذه الألفاظ، معتمدين على الحوسبة، وليس على الأنطولوجيا^٦ للربط بين المترادفات.

^٦ الحوسبة هو الربط بين الكلمات من ناحية الألفاظ الظاهرة، أما

الأنطولوجيا فهو الربط بين المعاني والألفاظ معاً.

وكالعادة، ينتهز "جيوم داي" أي فرصة ليقول
بأن الآية غامضة، أو مشوشة، أو ليس لها علاقة
ببقية السورة..

كما ينتهز أقل تشابه ليحوّله إلى شبهة؛ قائلاً بأن
هذا تم ذكره في الكتاب المقدس من قبل.. كما أنه
يبحث في الآية- ولو عن شطر كلمة- تتشابه مع
اللغة العبرية، ليقول بأن هذه الكلمة ذات أصل
عبري.. ثم يتغاضى عن أي إشارة علمية، أثبتها
العلم، وأشارت إليها الآيات محل الكلام!.

وقد تمثل هذا كله في كلامه حول سورة
الطارق، كما هو الشأن في كلامه عن سور القرآن
جميعاً.

فمثلاً عند حديثه عن معنى "الطارق" يقول
جيوم داي: "هذا المصطلح غامض"، ثم يسوق

بعض الآراء التي جاءت حوله، لينتهي - بدون دليل كالعادة - إلى تقرير أن الطارق هو النجم الذي أشار إلى ميلاد المسيح عليه السلام، ورآه المجوس، أو هو النجم الذي ذكرته التوراة من قبل بـ "نجم يعقوب"، في (سفر العدد ٢٤: ١٧):
(כּוֹכַב מִיְעֻקֵּב וְקָם יִשְׁכָּח מִיִּשְׂרָאֵל וּמַחֲזֵ פְאֵתֵי מוֹאָב וְקִרְקַר כָּל-בְּנֵי-יִשָּׂא) (يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيحطم طرفي موآب، ويهلك كل بني الوغى).

هذا، مع العلم، أن ترجمة هذه الفقرة من العبرية إلى العربية ترجمة خاطئة، لأن الترجمة العبرية، وأيضاً الإنجليزية مثل (King James) تقول بأنه "نجم يعقوب"، بينما الترجمات العربية تقول:

"كوكب يعقوب"، وبالتالي هم لا يفرقون بين
النجم والكوكب!^٧

أما عند حديثه عن الآية ٤ فيقول إنها آية
منفصلة عن السياق، ولا تتناغم مع بقية السورة؛
لأنها تشير إلى الملائكة!. وهذا جهل أو تجاهل منه؛
لأن الآية جاءت في سياقها المضبوط تماما.
فالسورة تتحدث عن شهب حارقة، تخرق
الغلاف الجوي وتسقط على الأرض، وبالتالي لا
يحفظ الإنسان من هذه الشهب إلا الملائكة، التي
جعلها الله حافظة للإنسان من الأضرار التي لا
يدركها، كما قال تعالى في سورة (الرعد : ١١) { له

⁷ there shall come a Star out of Jacob, and a Sceptre shall rise out of Israel, and shall smite the corners of Moab, and destroy all the children of Sheth.(numbers 24 /17) ترجمة كنج جيمز

معقبات من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من أمر
الله إن الله.. {

وعندما يتحدث جيوم داي عن الآيات من ٥ -
١٠ يتجاهل تماماً الحديث عن آية ٤ و ٥ : (خُلِقَ
من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب)

وعند حديثه عن قوله تعالى: (إنه على رجعه
لقادر) آية ٨ : يقول (الرجع) هو عودة الفصول
والأمطار. وهذا غاية في الجهل، والسخف،
وسطحية الفهم لترابط السورة من أولها إلى
آخرها.

ولننظر إلى الآيات مرة أخرى، يقول تعالى:
(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ؟ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ؛
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ؛ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لِقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ؛ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ).

إن الحديث في الآيات السابقة يتعلق بالإنسان
ولا يتعلق بالماء الدافق؛ لأن الكلام في الآيات
السابقة كان عن بدء خلق الإنسان، ثم إرجاعه
حيًا.

والضمير (له) في قوله تعالى: "فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ
وَلَا نَاصِرٍ" لا يستقيم بإرجاعه إلى الماء الدافق
وإنما إلى الإنسان.

وكلمة (رَجَعِهِ) في قوله: "إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ" تعود إلى الإنسان. والإرجاع هو إعادة
إحياء الناس للحساب بقريظة قوله تعالى: (فَمَا لَهُ
مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ).

لذلك يعود ضمير (يُخْرِجُ) في قوله تعالى:
"يُخْرِجُ مِنَ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" إلى الإنسان،
على أرجح الأقوال..

والمقصود بالصلب والترائب، كما يذكر تفسير
الماوردي والبحر المديد والقرطبي وغيرهم: "من
بين صلب الرجل وترائب، ومن بين صلب المرأة
وترائبها".

أما إن كان المقصود بالخروج "خروج المنى"
فالمقصود هو الهجرة الطويلة، التي تبدأ بخروج
الخلايا التناسلية الأولية للخصية في الذكر،
وخروج الخلايا التناسلية الأولية للمبيض في
الأنثى، من بين بدايات العمود الفقري وبدايات
الضلع؛ لكل من الرجل والمرأة؛ فيهاجر المبيض
إلى الحوض بجانب الرحم، وتهاجر الخصية إلى
كيس الصفن. وبعد اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة
يتحول إلى جنين ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن يخرج إلى
جنيناً إلى الدنيا..

أما في الآية ٩: (يوم تبلى السرائر) فيدعي الكاتب أن الإنجيل ذكرها قبل القرآن، بطريقة مفصلة، في رسالة بولس إلى أهل رومية: (في اليوم الذي فيه يدين الله سراير الناس..) وفي رسالته إلى أهل كورنثوس: (إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر أراء القلوب)..

ويفسر "وليم ماكدونالد" هذه الفقرة بقوله: (..الخطية المرتكبة في الخفاء في الوقت الحاضر ستكون فضيحة مكشوفة عند دينونة العرش..).أ.هـ.

على هذا يكون معنى "سراير الناس" في الإنجيل الخطايا المرتكبة في الخفاء..

أما في القرآن الكريم فإن معنى "السرائر" أبعد وأعمق وأشمل..

يقول المفسرون: (يوم تبلى السرائر، يوم يظهر في ذلك اليوم كل ما كان مختفياً في الدنيا عن أعين الجميع، مثل الفرائض التي كان الله تعالى قد كلف بها ولم تنفذ، كالصوم والصلاة وغسل الجنابة.. وأيضاً "يوم تبلى السرائر" أي تمتحن وتختبر، فتبلى بسالتهم، إن هم صلوا بالحرب حيناً بعد حين. وهناك من رواها "تبلى" بفتح التاء، وتعني أنهم لا يتراجعون عن الحرب، وإن تكررت الكثير من المرات على مر الزمان، وذلك يعني أنه إذا تكررت على الإنسان الشدائد أضعفته..

"تبلى السرائر": تخرج مخابراتها وتظهر، وهو كل ما كان استسره الإنسان من خير أو شر، وأضمرة من إيمان أو كفر..

أما عند كلامه عن الآيات من ١٥-١٧ فيدعي وقوعه في الحيرة في معرفة لمن تنسب هذه الآيات: هل تنسب إلى الله، أم تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وبنظرة سريعة للسياق يتضح أن الآيات تنسب إلى الله، والله لا يرويها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. وكالعادة يحاول أن ينسبها- خلاف أقوال المفسرين جميعاً، ولغاية في نفسه- إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه تراجع عن ذلك، لأنه وجد منفذاً في الآيات للإساءة إلى الله، حيث يصفه- زاعماً أن ذلك وصف القرآن- أن

إله الإسلام إله أفضل في المكر والخديعة، من الكفار!.

تناسق سورة الطارق

وأختم كلامي بالإشارة إلى نكتة لطيفة، تبين تناسق السورة الجمالي بشكل إعجازي، لا يمكن أن يصدر عن بشر، إنما هو كلام صادر من رب البشر.

والتناسق الجمالي في هذه السورة، يظهر من خلال محور السورة، الذي يدور حول "اختراق شيء لجدار أو حاجز" ..

تبدأ السورة بقوله تعالى: (وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب) هذا هو الاختراق الأول: نجم يخترق الغلاف الجوي.

ثم الاختراق الثاني: الملائكة تخترق أعماق
الإنسان فتطلع على أسراره (إن كل نفس لما عليها
حافظ).

ثم اختراق الحيوان المنوي لجدار البيوضة حين
التلقيح (فلينظر الإنسان مما خلق، خلق من ماء
دافق، يخرج من بين الصلب والترائب).

ثم اختراق الإنسان لجدار القبر وإخراجه منه
للبعث والنشور (إنه على رجعه لقادر، يوم تبلى
السرائر).

ثم الحديث عن غلاف السماء، الذي لا يخترقه
شيء، ويصدُّ أيَّ شيء يحاول النفاذ من خلاله
ويرده (والسماوات ذات الرجوع).

وأخيراً: اختراق بذرة النبات لقشرة الأرض،
حين تنشق الأرض وتتصدع لتخرج من تحتها نبتة
صغيرة: (والأرض ذات الصدع).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جدول المحتويات

٦	المخطط
٨	تعليق
١٦	قصص العقاب ٩-٤٢
٣٧	تعليق المترجم على تفسير سورة القمر
٥٠	سورة الطارق
٥٢	المخطط
٥٣	تعليق
٦٥	تعليق المترجم على تفسير سورة الطارق
٧٦	تناسق سورة الطارق